منفى

في المنفى، كان صاحبُنا شريدًا وحيدًا يعاني الغربة والأرق. ومنفاه لم يكن خارج الوطن، بل كان في سجنٍ بعيدٍ في أعماق الصحراء يتجرَّعُ فيه مرارةَ التصحُّرِ والقفرِ. ولَّما حاولَ أن يتَّصِلَ بي وأخبرني أنه يموت بعد أن طعنه أحدُ الموتورين، قطعوا عليه الأسلاك ومثَّلوا بجسده: قطَّعوه قِطَعًا جَدَّ صغيرةٍ وبعثروها في أرجاء البلدان.

استلهم أحد أصدقائنا وأصدقائه – وهو عاشق للتاريخ الفرعوني ومتخصص فيه – روحَ إيزيس الخالدة، وكان قد سبقَنا إلى ذلك، وأخذ يجوب البلدان يجمِّعُ أشتاتَ صاحبِنا. كانت الطيور تصاحبه في رحلة الجمع هذه وكانت تدلُّه على أماكن كثيرة...

وبعد أن جمع الأشتات وأعاد ترميمها خِلْسَةً، أعددْنا له ضريحًا عظيمًا يليق به وبأمثاله، بالطبع كان هذا المكان سِرِّيًّا غير معروف إلا لأصدقائه وقرائه، وكانوا يزورونه جميعا، بل ويلتقون عند قبره: يعقدون الندوات الجلسات والمناقشات... بعضهم كان يكتب شاهدًا على قبره في لوحة جميلة تدل على سيمفونية التلقِّي والإبداع...

١٩٩٧